3

إنقاذ الأطفال المحاربين

أوغندا

هنـاك تنظيم مسلح متمرد في شرق إفريقيـة، ظل يستعبد الأطفال لأكثر مـن عقدين. ويجبر الأطفال الصغار، ومنهم مـن لا يتجاوز عمره سبع سنوات، على العمل جنودا، وعبيد جنس، وحمّالين. وتقدّر مجموعات حقوق الإنسان عدد الأطفال المُسْتَعْبَدين بنحو ستّ وستين ألفًا [1].

مـا يجري فـي تلك المنطقة يسمى الحرب المنسيـة، والتي لا يعرف عنها معظـم المواطنيـن الغربيين شيئًا، كمـا أن حكوماتهم لا تبـذل الكثير من أجل وقفهـا؛ لأن تلك المنطقـة لا تتمتع بأي أهمية جيوسياسيـة بالنسبة إلى الغرب. وتتعامـل معها الدول الغربيـة دون مبالاة؛ مجرد إفريقيّ يقتـل إفريقيّا آخر في حـروب عصابات لا تنتهي. ولربما أهتم بها الغرب أكثـر لو أن المتمردين كانوا يسرقون النفط بدلا من الأطفال. كان المُنفِّذ الرئيس لهذه الجرائم هو ما يسمى بجيشـ الرب للمقاومة Lord's Resistance Army، وهو ميليشيا مسلحة روّعت المنطقـة الشمالية مـن أوغندا منذ ظهورها في عـام 1986. وقد بدأت الحركة تمردا ضد السلطة الحاكمة، ولكنها تحولت إلى عقيدة عسكرية مسيحية. يزعم رئيسـ الحركة جوزيف كوني Joseph Kony أنه سـوف يبني مجتمعًا قائمًا على الوصايـا العشر. والمضحك أنه مصمم وجنـوده على انتهاك كل وصية من هذه الوصايا. وما يفعله هذا الرجل، الذي كان يعمل وهو صغير خادم مذبح في كنيسة كاثوليكيـة، هو حفظ آيات من القرآن الكريم وكتـاب العهد القديم معًا، إضافة إلى الطقوس القبلية التقليدية؛ خلطة دينية غريبة. ومع مرور السنين، أصبحت أهداف كوني السياسية أقل وضوحًا، وأساليبه أكثر وحشية.

obeikandl.com

ويمثـل الأطفال المختطفون ما يقـارب 90% من مجموع قوات جيش الرب هـذا[2]. يجبر قادة الجيش هؤلاء الأطفـال على إعدام الأسرى، والاصطدام مع الجيش الأوغندي الرسمي. وقد أفاد أطفال مجندون سابقون، وشهود عيان، أن قادة جيش الرّبّ كانوا يدفعون بالأطفال دائمًا إلى الخطوط الأمامية من جبهات القتال.

وفي زيارة له إلى شمال أوغندا في عام 2003، قال وكيل الأمين العام للأمم المتحـدة للشؤون الإنسانية جان إيغلاند إن علـى المجتمع الدولي إعطاء أولوية قصوى للوضع في ذلك البلد الإفريقي. ومما قاله: إنها فضيحة أخلاقية أن نرى آلاف الأطفال يُخطفون، وتُساء معاملتهم، ويُعذّبون من الحركة المتمردة ... ولا أجـد أي منطقة منكوبة في العالم مثلما هي عليـه الحال في أوغندا. ومع ذلك، فالعالم لا يعيرها اهتمامه[3].

تشارلز؛ الاختطاف

علمـت عائلة أشانـا أن كتيبة من جيش الرب للمقاومة بـدأت تتجمع في المقاطعـة. وكان المتمـردون قـد هاجموا قريـة قريبة لا تبعد أكثـر من مسيرة عشرين دقيقة.

لم تكن بيتي أشانا مستعدة للمخاطرة. عندما اختطفت الملاريا اثنتين من بناتهـا الصغيرات، شعرت يومها أنها عاجزة عن فعل أي شيء. أما هذه المرة ، فلن تجعل ابنيها يلاقيان مصير أختيهما.

طلبت الأم إلى ابنها الأكبر تشارلز اصطحاب أخيه إلى الغابة، والنوم في مـكان آمن بعيدًا عن القريـة. وقد أطلعت الأم جيرانها علـى خطتها، فاعترفوا بحصافـة رأيهـا. ولذلك، ما إن حل الظـلام حتى كان كل ولد مـن أولاد القرية يحمل بطانية وحقيبة مدرسية، مبتعدا عن القرية، باحثًا عن مكان يختبئ فيه.

كان شعور تشارلز ذي العشر سنوات وهو في الغابة كشعور أي طفل آخر من أترابه. كان يشعر أنه ذاهب في مغامرة. ولم يكن الأمر غريبًا بالنسبة إليه؛ فقد اعتاد النوم في العراء تحت النجوم، وكان يتسلل من الكوخ في الليالي الحارة، ويستلقي على الأرض دون حراك، ويتعرف المخلوقات من نداءاتها الليلية. وفي الليلة الأولى التي قضاها خارج البيت، ظل تشارلز يسامر رفاقه حتى غلبه النوم.

طلع النهار فجأة، فأدرا تشارلز ظهره إلى الشمس، لكنه تذكر أن اليوم ليس يوم عطلة، وأن عليه الذهاب إلى المدرسة. ولأنه يعرف أن الأولاد الآخرين لا يشاطرونه حماسه للدراسة، فإنّه لم يكلف نفسه عناء إيقاظهم من نومهم، فطوى بطانيته، وانطلق صوب المدرسة.

سار تشارلز في الطريق المؤدية إلى المدرسة غارقا في أفكاره، ولم يشعر إلا وقد أصبح بين الجنود. كانوا يجلسون حول نار متقدة وهم يتناولون حساء الشعير. ورغم هذه المفاجأة، إلا أن تشارلز لم يشعر بالخوف، لأنه كان معتادا على رؤية جنود الجيش الوطني عندما كانوا يقومون بجولات في المقاطعة. حافظ تشارلز على سرعة خطواته وهو يمر بجانب الجنود. وفجأة، سمع من يأمره: قف مكانك. تسمّر تشارلز، ثم استدار ليلقي نظرة على الجنود. شعر بشيء غريب، فهؤلاء الجنود لا يرتدون زيّ الجيش النظامي. ومع أن بعضهم كان يرتدي قمصانًا عسكرية، إلا أن السراويل لم تكن مطابقة لها. وبعدما أنعم النظر، لاحظ أن بعضهم كانوا بمثل سنه. عندها فقط، شعر بقشعريرة تسري في أنحاء جسده. إلى أين أنت ذاهب؟ سأله أحدهم يحمل بندقية بيده اليمنى. لاحظ تشارلز في أثناء البحث عن جواب أن معظم الأطفال الصغار كانوا يحملون سواطير أو سكاكين كبيرة.

صرخ الرجل قائلا: لقد سألتك لِمَ تسير مسرعًا هكذا؟

ظـن تشارلـز أنه لم يجاوبه في المـرة الأولى، فقال بصـوت ضعيف: إلى المدرسة.

لـن تذهب إلى المدرسة بعـد الآن، قال القائد بضحكة مدوية، يا ولد! لقد التحقت لتوّك بجيش الرب للمقاومة.

فلورنس لاكور؛ درب الآلام

عند الحديث عن الأزمة في شمال أوغندا، لا بد من التركيز على الأطفال المُسْتَعْبدين في جيش الرب للمقاومة. ولو قُدّر لك الالتقاء بفلورنس لاكور –Flor ence Lacor، فسوف تعرف الألم الذي ينتاب آباء هؤلاء الأطفال.

تحـاول فلورنس مساعدة الآباء على تحمـل مصيبتهم، فهي نفسها فقدت ابنتهـا منذ ثماني سنوات، دون أن تعرف عنها شيئًا. وهذا ما قد يؤدي بالإنسان إلى الجنون. وعن ذلك تقول:

يتألـم الآباء كثيرًا عندما يُختطـف أطفالهم ويُؤسـرون. ومع حلول الليل، يزداد ألمهم لأنهم على يقين بأن أطفالهم ينامون في العراء. وعند هبوب عاصفة رعدية، يتوقعون إصابتهم بالبلل. وحال سماع قصف مدفعيّ، يرتعدون خوفا من تساقـط القذائف عليهم. عندمـا يموت طفلك، فأنت تعرف أنه قد مات فتندبه، وتتقبل حقيقة الموت. ولكن، عند اختطافه، فستظل تتساءل عما آلت إليه أحواله، ولن تنساه أبدًا؛ فمصيره مجهول تماما[4].

اختطفت ابنة فلورنس في واحدة من أبشع الهجمات التي شنها جيش الرب للمقاومـة. ففي أكتوبر 1996، هاجم المتمـردون كلية سانت ماري Saint Mary College الداخلية للبنات في مدينة أبوكي Aboke شمال أوغندا. وقد أثار الهجوم غضبًـا شعبيًّـا عارمًا؛ لأن المتمردين اختطفوا 139 بنتًـا مرة واحدة. كانت تلك

الفتيـات من أفضل البنات المتفوقات في شمـال البلاد. وساد بين الناس شعور بعدم الأمن. فإذا لم تسلم بنات المدارس الداخلية، فإن بناتهم في خطر أيضًا.

في ليلة الاختطاف، ركضت مديـرة المدرسة الراهبة راشيل فاسرا خلف المتمردين، وتبعتهم إلـى الغابة دون كلل ولا يأس. توسلـت إليهم إطلاق سراح البنات، وعرضت عليهم الدواء والنقود، بل وحياتها أيضا؛ خذوني وأطلقوا سراح البنـات، أو اقتلوني واتركوهن. هكذا تتذكر إحدى الفتيات المُختطفات ما قالته الراهبة لقائد المتمردين[5].

حاول القائد تهدئتها، فطلب إلى البنات الجلوس، وأمر الضباط أن يختاروا من بينهن أجمل ثلاثين. عندما سمعت البنات ذلك، حاول بعضهن تشويه وجوههن بالحجارة، أو أي شيء حاد تقع أيديهن عليه. وتظاهرت الفتيات الأخريات بالإعاقة كي لا يقع الاختيار عليهن.

بعد اكتمال عملية الاختيار، ترك القائد البنات الباقيات، وأمر الراهبة أن تأخذهن وتذهب بسرعة قبل أن يغيّر رأيه. بعد ذلك، حذّر من وقع عليهن الاختيار بأنه إذا ما حاولت إحداهن الهرب، فسوف يعدم زميلاتها التسع والعشرين.

عندمـا علمت فلورنس بعمليـة الاختطاف، ذهبت مسرعـة إلى المدرسة، وظلت تنتظر عودة الراهبة على أحرّ من الجمر، وأخذت تدعو مع الآباء الآخرين ألا تكون ابنتها من اللواتي وقع عليهن الاختيار. ولسوء حظها، كانت ابنتها منهن؛ ليكن محظيّات لكبار الضباط.

وعلى الرغم من أن فلورنس قرأت أخبارًا في الصحف عن اختطاف الأطفال في المناطق الريفية، إلا أنه لم يخطر ببالها أن المتمردين قد يستهدفون مدرسة خاصـة. وبعدمـا اختطفت ابنتها، كانت مستعدة لفعـل أي شيء لإنقاذها، ولكن دون جدوى.

حاولت الأم معرفة المزيد عن جيش الرب وما يفعلونه بالأطفال المخطوفين، فقصدت معسكر أطفال الحرب الذي تشرف عليه منظمة إغاثة دولية تُدعى وورلد فيجين World Vision. كانت هذه المنظمة تدير معسكرين مؤقتين للعبيد المُحرّرين في غولو، أكبر مدن شمال أوغندا. أحدهما يضم الفتيات والأولاد الصغار، في حين خُصِّص الآخر للشباب ممن هم فوق 18 عامًا. كان الضحايا في كلا المعسكرين يتلقون الرعاية الصحية والنفسية، والتدريب المهني أيضا. ومنذ انطلاقها في عام 1995، ساعدت هذه المنظمة أكثر من خمسة عشر ألف عبد محرر على التخلص من أثر الصدمة، وبداية حياة جديدة.

قضت فلورنس ساعة في المخيم، ولكنها غادرت لأنها لم تحتمل سماع المزيد من الروايات التي يسردها الأطفال المحررون عن تجربتهم المريرة. وقررت أنها لن ترجع إلى المعسكر مرة أخرى.

مرت شهور وهي تحزن، وتصلي، وتغضب، وترثي لحالها. وشيّدت في داخلها سجنًا لا مكان فيه للسعادة.

وفي يوم ما، خطرت لها فكرة؛ عندما كانت في معسكر المنظمة الدولية قيل لها إن المتمردين يجبرون الأطفال عند اختطافهم على قتل آبائهم، فقالت لنفسها: ربما لا أستطيع إنقاذ ابنتي، ولكن يمكنني أن أدافع عن الأطفال العبيد الذين أصبحوا يتامى.

عادت فلورنس إلى معسكر المنظمة، وقررت الانضمام إلى جهود مكافحة العبودية.

مارغريت؛ أوامر الزحف

في عصر يوم مشمس من أيام شهر نوفمبر، كانت الساعة تشير إلى الثانية. استغربت كيف لا تزال تتذكر ذلك الوقت تمامًا بعد كل هذه المدة الطويلة. قضت

مارغريت ثماني سنوات ونصف السنة في الأدغال حيث لا معنى للوقت هناك. ولكن لحظة اختطافها ظلت محفورة في ذاكرتها، وشاهدًا على براءتها.

كان عمرها ثماني سنوات عندما هاجم المتمردون القرية. لم تكن هناك أي حراسات، فالمتمردون لا يهاجمون في وضح النهار، ولكنهم جاؤوا ذاك اليوم معلنين عن وصولهم بطلقات رشاشاتهم وصيحاتهم العالية.

التصقت مارغريت بكوخ عائلتها وهي تدعو الله أن تخفيها جدران القصب عن عيونهم. سمعت صخبا في مركز التدريب المهني الذي شيدته وكالة إغاثة دولية في قريتها. كان المتمردون يستولون على المعدات فيه. انتقل الضجيج إلى بيت مجاور، وما تزال ملتصقة بحائط الكوخ. وفجأة، فُتح الباب على مصراعيه.

وقف طفل بمثل عمرها عند مدخل الكوخ، وأخذ يتفحص المكان كما لو كان يبحث عن شيء بعينه، ثم وقعت عيناه عليها. أمسك الساطور المتدلي على جانبه الأيمن وأشار بطرفه إليها، ثم أمرها قائلا: انهضي واتبعيني فورًا.

أخذ مارغريت إلى وسط القرية. وأحست باليأس عندما رأت أخاها من بين جميع أطفال القرية تقريبًا الذين تجمعوا في المكان. كان الجنود الذين يحرسونهم يحملون هراوات – لم تكن في الحقيقة أكثر من أغصان أشجار مشذّبة قليلا. سارت مارغريت وهي تجر قدميها إلى حيث يقف الأسرى الآخرون.

وبعد أن اطمأنوا أنهم نهبوا كل شيء نفيس في القرية، كدّس المتمردون غنائمهم في كومة واحدة، ووضعوا معظم البالغين في مركز التدريب، ثم اختاروا عددًا قليلا من رجال القرية من بين المواطنين وأمروهم بالجلوس متعاضدين بجانب الأطفال.

أطلّ قائد المتمردين من باب المركز، ثم صرخ في السجناء داخله: سوف أحرق هذا المكان بمن فيه إن سمعت همسة واحدة، ولن يخرج منكم أحد حيًّا.

بعدما أغلق المسلحون الباب، ذهب القائد إلى حيث الأطفال، توقف فجأة على بعـد خطوات منهم، ثم رمقهم بنظرة قاسية، وصرخ بوجوههم: أنتم لستم أبناء هذه القرية بعد الآن. أنتم ملك جيش الرب للمقاومة.

ثم ألقى خطابًا يبدو أنه قد تدرب عليه جيدًا: إذا حاول أحدكم الهرب هذا اليـوم أو غدًا أو فـي أي يوم آخر في المستقبل، فسوف نعثـر عليه ونقتله. وأنتم تعرفون أننا سوف نعود أيضًا إلى هذه القرية ونقتل كلّ من فيها عن بكرة أبيهم. ولن نرحم فيها صغيرا ولا كبيرا.

أما البنات، فأمرهن القائد السير في صف إلى حيث كومة الغنائم. أعطى الجنـود كل بنت حملا يتناسب مع حجمهـا. كان نصيب مارغريت مجموعة آنية مربوطـة بسلك أعطاها إياها متمرد مراهق يرتدي قميصًا عسكريًّا باليًا. ألقت مارغريت على كتفيها حمولتها، وتحركت إلى الأمام بسرعة كي لا تعطي المتمرد فرصة لزيادة حملها.

كانـت الشمس لا تزال في كبد السماء عندما غادروا القرية. سار الأسرى فـي صف واحد في حين كان الجنود يحرسون الصف من الجانبين. ظل الصف يسيـر طوال فترة الظهيرة. أحست مارغريت بالألـم من وخز الحجارة المدببة والأعشـاب الجافة لباطن قدميها العاريتين. لم تجـرؤ على الشكوى أو التوقف؛ لأن الحراس كانوا يعاجلون من يقف بهراواتهم.

وأخيـرًا، وعند الساعة الرابعة عصرًا، أمـر القائد المخطوفين بالتوقف. تهاوت مارغريت ورفاقها الآخرين إلى الأرض ليريحوا أجسادهم المتعبة. عندما تخففت من حملها، شعرت أن الدم يكاد يتفجر من قدميها، ولكنها في تلك اللحظة، ورغم ألمها، أرادت لو تغرق في سبات عميق.

obeikandl.com

هيا، أيها الكسالى المعاقون، انهضوا! أمامكم عمل كثير لتقوموا به، هكذا جاء صوت القائد قاطعًا عليها غفوتها القصيرة.

رمى القائد ثلاث صحاف لثلاث بنات، كانت مارغريت من بينهن، وقال: هناك بئر تبعد دقائق قليلة أسفل ذلك الدرب. اذهبن واملأنها. عندما نهضت البنات المكلفات بجلب الماء، استدار إلى البنات الأخريات، وقال: اذهبن واجمعن الأعواد الصغيرة، وأشعلن نارًا للطبخ.

سارت مارغريت عبر الدرب ببطء. رأت أمامها ما بدا لها بقايا مساكن مهجورة. كانت الأكواخ الرئيسة بلا سطوح، أما الحيطان فحملت آثار حريق حديث. اتجهت إلى البئر الكائنة وراء دائرة الأكواخ، ودهشت عندما اكتشفت أن مضخة البئر لا تزال تعمل، ولم يستغرق ملء الصّحفة بالماء وقتًا طويلا.

لم تدرك صعوبة العودة بالصّحفة المملوءة بالماء إلى المعسكر. حاولت أول الأمر أن تمسكها على جانبها، ولكنها كادت تسقط بعد خطوات قليلة. وفي المرة الثانية حاولت رفعها ووضعها على كتفها الأيمن، ولكن دون فائدة؛ لم تنجح هذه الطريقة أيضًا سوى لخطوات قليلة لأن قدميها المُتعبتيْن من المسيرة الطويلة لم تقويا على حملها. ومع ذلك ظلت تحاول قطع أطول مسافة ممكنة. وفجأة، ارتطمت قدمها بجذع شجرة، فوقعت القَصْعة(الصّحفة) بعيدًا عنها وتدحرجت هي الأخرى وراءها.

ظلت جالسة على الأرض في ذهول بلا حراك، في الوقت الذي كان فيه الماء ينساب من القصعة المقلوبة. وبعد أن أحست ببلل ثيابها، انتفضت على قدميها، ومدت يديها لتعدلها وتوقف انسكاب الماء منها.

في تلك اللحظة، ظهر الجندي المراهق فجأة، وقال: ارجعي إلى الطريق. واتبع ذلك بصفير كأنما يخاطب كلبًا ضالا.

أمسكت مارغريت بالصّحفة سريعا، وأسرعت لتقف إلى جانب الصبي، حيث أعادها إلى المخيم، وأخذها مباشرة إلى القائد الذي كان يتجاذب أطراف الحديث مع مجموعة من الضباط تحت شجرة.

لقد أمسكت هذه البنت وهي تحاول الهرب، لكنها لم تبتعد كثيرًا، قال الولد المُجنّد.

أرادت مارغريت أن تدافع عن نفسها، لكن الخوف عقد لسانها. وقفت كما لو أنها تقف خارج ذاتها، مجرد متفرج فضوليّ ينتظر ما سيحدث بعد ذلك.

أحسنت يا صموئيل، قال الضابط بابتسامة استحسان. وعندما نقل عينيه إلى مارغريت، اختفت الابتسامة عن شفتيه وسألها: هكذا إذن، فأنت لا تحبيّن عائلتك الجديدة!

ظلت مارغريت منكسة الرّأس، ولم تجرؤ على النظر في وجه سجّانها الذي أمسكها من ذراعها بقوة، ودفعها إلى الأمام قائلا: دعونا نري أصدقاءك ما يحدث لمن يحاول الهرب من جيش الرب. ثم صاح على الولد الواقف خلفه: اذهب وأحضر تيلور وولتر، وأحضر أعواد الثقاب معك أيضًا.

دفع الضابط مارغريت بقوة باتجاه البنات اللواتي كن يحاولن إشعال حزمة من الأغصان الصغيرة. كان الأولاد جالسين مقيدين على بعد خمسة أمتار من دائرة الحجارة التي أعدتها البنات لإشعال النار فيها.

هذا وقت تصفية الحساب، زعق القائد. أما الفتيات فقد اندفعن مذعورات إلى الوراء للانتباه لما سيقوله.

طرح القائد بمارغريت إلى الأرض، وقال بلهجة انتقامية: سوف تتعلمون أننا لا نتسامح مع الخيانة. فكل شخص يحاول الهرب فهو في عداد الخونة. لقد

حاولـت هذه البنت الغبيــة الهروب وأخذ إناء الماء معهـا. وواصل حديثة ناظرا إلى مارغريت وهي منكسة الرأس: لحسن حظها أننا لم نضطر للبحث عنها وإلا لكانت ميتة الآن.

توقف لثوانٍ ليتأكد من أن الأسرى قد فهموا رسالته، ثم التفت إلى الأطفال المُجنّديـن الذين كانوا شاهرين سواطيرهم بانتظار أوامره، وقال: يا صموئيل، بما أنّك من أمسك بهذه البنت الغبية، فلك شرف الضربة الأولى.

تقدم الولد بكبرياء، وسار حتى كادت قدماه تلامسان رأس مارغريت، ثم رفـع السّاطور بذراعه الأيمن عاليًا وهـوى بطرفه الأملس على ظهرها. من هول الضربـة، عجزت عن الصـراخ. كان الألم أشد من وضع قطع فحم مشتعلة على عمودها الفقري. ولكنها أخذت تصرخ عندما أخذ المتمردون الصغار يمطرونها بالضربـات على أجزاء جسمها كلّه. فقـدت مارغريت وعيها. ومع ذلك، واصلوا ضربها.

مسافرو الليل

أصبح الأطفال الذين كانوا يسمّون (مسافرو الليل) Night Commuters أكثر أمانًا في بيوتهم بعد تحسن إجراءات الأمن في شمال البلاد.

قبـل زيـادة أعداد قوات الجيش فـي الشمال، كان الأهالـي يضطرون إلى إرسال أولادهم إلى أماكن آمنة قبل حلول الظلام؛ لأن متمردي جيش الرب كانوا يفضلـون الإغارة ليـلا. كان ما يزيد على ثلاثين ألفا من مسافري الليل يذهبون إلى مسافات تبعد نحو عشرة أميال ليكونوا في مكان قريب من أي ثكنة عسكرية للجيش النظامي. ومع ذلـك، كان الكثير منهم ينامون في مواقف الحافلات، أو الحدائـق العامة، أو شرفات المحال التجاريـة، أو في البنايات المهجورة. وكان هـؤلاء جميعهم يقطعون هذه المسافة سيرًا على الأقدام عند العودة إلى بيوتهم

مـع بزوغ الفجر. كانت حركة مسافري الليل تزيـد أو تنقص وفق وتيرة هجمات المتمردين. وقد لاحظ معظم المراقبين الدوليين أن الرحلات الليلية هذه قد توقفت في عام 2007.

تشارلز؛ البداية

بعـد القبض على تشارلز، لم يظهر المتمردون ما يدل على أنهم في عجلة مـن أمرهم. كانت نقطـة تمركزهم، الواقعة على مفترق عـدة طرق يستخدمها القرويون في العادة، مصيدة مثالية. وما كان عليهم سوى الانتظار، وسوف تأتي الطرائد إليهم.

ومـع أول إشراقة للشمس، كانـوا قد قبضوا على ستة أطفال وثلاثة رجال، جلس الأسرى صامتين قرب النار لا يجرؤ أحدهم على التحدث مع الآخر، وظلوا يحدقـون في اللهب الذي يخبو أمامهم. كان عمر أحد الأولاد نحو عشر سنوات، وهو عمر تشارلز، في حين كان الباقون أكبر بسنتين. لم يسبق لتشارلز أن تعرّف إلى هؤلاء الأولاد، ولكنه عرف الرجلين الآخرين، فهما من قريته.

عندمـا بدأ المتمـردون يخلون المكان، طلب الرجـل الذي يحمل البندقية ويصـدر الأوامر من الرجلين التّحرّك إلى ساحة مكشوفة تبعد عن النار مسافة ثلاثـة أمتار. تحـرك الرجلان دون تردد إلى حيث أشـار إليهما الرجل المسلح. أمرهما بعد ذلك أن يركعا على ركبتيهما على خط واحد، ثم صاح فيهما أن يتركا مسافة بينهما. بعد أن فعل الرجلان ما أمرهما به، استدار إلى الأولاد وقال: أيتها الجراء! استمعوا إليّ جيدًا، فما سأقوله مسألة حياة أو موت.

أشـار بيـده إلى كومة من أغصان الأشجار التـي قطعت إلى أطوال تقارب المتريـن، وقال: سـوف يمسك كل واحد منكم عصًا من هـذه العصيّ، ويضرب هذين الرجلين حتى الموت لأنهما خائنان لشعب الأشولي.

نهض الأولاد واحدًا تلو الآخر، واتجهوا إلى كومة الأغصان. وبعد أن اختار كلّ منهم عصا، ذهبوا ووقفوا خلف الرجلين اللذين أطرقا صامتيْن كالخراف التي تنتظر الذبح.

والآن، عليكم أن تضربوا هذين الخائنين على رأسيهما، أمر الضابط الأولاد. وعندما لم يتحرك أي منهم، اختطف العصا من يد تشارلز، ولوّح بها في الهواء، ومن ثم ضرب بها أحد الفتية على ظهره، فصرخ صرخة تقشعر لها الأبدان، ثم سقط على الأرض ميتًا. لوّح بالعصا ثانية ونظر إلى الفتى الثاني في الصف. لم يكن الفتى بحاجة إلى مزيد من التحريض؛ فرفع هراوته ثم هوى بها على رأس الرجل الراكع أمامه مباشرة، وعندما انفجر الدم من رأس الرجل الذي أخذ يتلوى من الألم، حدث ما هو غير متوقع؛ إذ انضم الأطفال الآخرون إلى عملية الذبح. أعاد الضابط الهرواة إلى تشارلز ثم ابتسم وهو يراه يشارك الآخرين في قتل الرجلين.

في دقائق قليلة، كانت ثلاث جثث ملقاة عند أقدام الأولاد. شعر تشارلز بخدر يسري في بدنه. أراد البكاء، لكن دموعه لم تسقط كما لو أنها جفت.

هذا كل ما في الأمر يا أولاد. ولكن هناك أمرا آخر عليكم القيام به قبل أن تكونوا أهلا للانضمام إلى جيش الرب، أعلن الضابط أمامهم، ثم أضاف: من أجل أن تكتسبوا قوة المقاتل، عليكم لَعْقَ دم ضحاياكم ليجري في عروقكم.

بعد كل ما فعله هؤلاء الأولاد، بدا هذا الطلب بسيطًا بالنسبة إليهم، أو هذا ما اعتقده تشارلز إلى أن تذوق طعم الدم بلسانه. عندها، استفاق من الحلم، ورأى الواقع على حقيقته، وانقبضت معدته، وكان على وشك أن يتقيّأ.

أحسنتم يا أولاد. أهلا بكم إلى جيش الرب، قال الضابط بعد أن أكمل الأولاد هذه المهمة المروّعة. وللتأكد من أن الأطفال قد أدركوا المعنى الكامل

لاحتفـال التعميد بالدم، قال لهم: لا مجـال الآن لعودتكم إلى قريتكم. أنتم الآن قتلـة، وسـوف يطلب أهل الرجـال الذين قتلتموهم ثأرهم منكـم. سوف تكونون أغبياء لو حاولتم الهرب، فإلى أين تذهبون؟

فلورنس لاكور؛ فرحة لم تخطر على البال

لا أدري ما الذي أعطاها ذاك البهاء، ربما كانت تلك الثقة الهادئة، أو ذلك التّفـرّد، أو ربمـا عيناها اللتان تنفذان إلى عمق الـروح. ومهما يكن ذلك السر، فإن فلورنس تستخدمه بقوة لمواساة الأطفال المحررين الذين يأتون إلى المركز بحالة نفسية يرثى لها.

عندمـا بـدأت العمل في المركـز لأول مرة، وجدت أن مـن الصعب عليها سمـاع الأطفال؛ الجنود السابقين وهم يصفون كيـف هاجموا القرى واختطفوا أطفـالا آخرين. كانـت تشعر أنهم يتحدثون عن ابنتهـا فيغلى دمها في عروقها. لكنهـا كانت تتغلب على غضبها، وتدرك أن هـؤلاء الأطفال أبرياء وأنهم أجبروا على القيام بدور الجنود.

أخيرا، استطاعت تخطّي تلك المرحلة، وأصبحت بطريقة أو بأخرى، الأم البديلة للأولاد والفتيات من الأعمار جميعها. كانوا يأتون إليها باحثين عن الحب والنصح، بل والتأنيب أيضا.

وبين هذا وذاك، لم تتوقف أبدًا عن الأمل في رؤية ابنتها ثانية في يوم من الأيام. وكلما كان الجيش النظامي يبلغ منظمة الإغاثة العالمية أنه سوف يسلمها دفعة من الأطفال المحررين، كانت تسأل إن كانت ابنتها من بينهم. وكانت تتلقى الجواب نفسه طوال ثماني سنوات: كلا، ليست معهم.

obeikandl.com

كان بعض العبيد المحررين يقولون لها إنهم رأوا ابنتها، وكان ذلك يكفي لأحياء الأمل عندها، ولكنها مع ذلك تخشى أن تكون قد قتلت منذ آخر مرة رأوها فيها.

وفي صبيحة يوم من أيام شهر أكتوبر 2004، استيقظت فلورنس من نومها وهي تشعر بسعادة غامرة لا تعرف سببا لها، لكن هذا الشعور ظل يلازمها طوال الفترة الصباحية.

عندما وصلت إلى مكان عملها، علمت أن الجيش قد أنقذ عددًا من الأطفال، فذهبت إلى المطار العسكري في مدينة غولو لاستقبالهم. هناك، أبلغها طفلان من المحررين أن ابنتها كانت موجودة معهما في معسكر المتمردين عندما هاجمه الجيش النظامي، وقالا إنهما لا يعرفان الجهة التي فرت إليها، كما أنها لم تكن معهما عندما ألقى الجيش القبض عليهما.

تقول فلورنس عن ذلك: بعدما ساعدت الأطفال المحررين على الاستقرار في المعسكر، عدت إلى البيت وخلوت إلى نفسي، واسترجعت تفاصيل ذلك اليوم كلّها. والحقيقة أن الإحساس بالسعادة ظل يصاحبني طوال اليوم، وهذا أمر عجيب لأن قلبي كان ينفطر عند سماع أي خبر سيئ عن ابنتي.

في اليوم التالي، تلقت فلورنس مكالمة هاتفية من صديق لها في الجيش النظامي، أخبرها فيها أن الجيش عثر على ابنتها في جنوب السودان، ثم جعلها تتحدث إليها، وكانت هذه المرة الأولى منذ ثماني سنوات. وبعد يومين، كانت فلورنس تحتضن ابنتها في مطار غولو.

كان جمع شمل الأم بابنتها نهاية سعيدة أعقبت أيام الحزن والأسى. ولكن فلورنس لا تزال تتألم للأمهات اللواتي لم يعد أبناؤهن من الغابات.

obeikandl.com

الحرب في شمال أوغندا؛ خلفية تاريخية

توالت على أوغندا انقلابات عسكرية وثورات مسلحة منذ استقلالها عن الاستعمار البريطاني في عام 1962. وقد ارتبط اسم الديكتاتور السابق عيدي أمين دادا، بالنسبة إلى معظم الغربيين، بصور التعذيب، وعمليات القتل غير القانوني، والمذابح الجماعية. كان الجنرال عيدي أمين قد قاد انقلابًا عسكريًّا في يناير 1971 ضد سلفه ملتون أوبوتي الذي ألغى الدستور، وفرض الحكم العسكري طوال خمس سنوات. وعلى مدار ثماني سنوات، حوّل عيدي أمين البلاد إلى ثكنة عسكرية، وزاد حجم القوات المسلحة إلى أربعة أضعاف، واستغل الانقسامات العرقية لإحكام سيطرته على ذلك البلد الإفريقي. ويقدر عدد المدنيين الذي قتلوا في أثناء حكمه بثلاثمئة شخص، معظمهم من المدنيين[6].

ولسوء الحظ أن هذا الجنرال يمثل حلقة في سلسلة من الأنظمة التي حكمت أوغندا بقبضة حديدية. وكان الأسلوب المتبع في الحكم مأساويًّا؛ إذ لجأ النظام الجديد بعد الإطاحة بالنظام السابق إلى الانتقام من الجنود والمدنيين (أو القبائل) الذين كانوا يدعمون النظام السالف. وكانوا يرتكبون هذه الجرائم ضد شعبهم في مأمن من العقاب. وعند الإعلان عن إنشاء جيش الرب للمقاومة في عام 1987، بدا لو أنه مثل أي تمرد آخر يدافع عن مصالحه القبلية. وكان العام السابق لهذا التمرد قد شهد انقلابًا دمويًّا قاده الجنرال يوري موسوفيني الذي أطاح بنظام الجنرال تيتو أوكيلو لوتوا الذي حكم البلاد ستة أشهر فقط.

لا يوجد حدث في أوغندا يمكن أن يتجاوز السياسات القبائلية. فقد كان الجنرال أوكيلو من عرقية الأشولي، وهي قبيلة تنتشر غالبًا في المقاطعات الشمالية الثلاث؛ كتغوم، وغولو، وبادير. وقد ظل الأشوليون يشعرون بالاضطهاد من القبائل الأكثر غنى في جنوب البلاد وغربها. وكان هذا الظلم نتيجة للسياسات الاستعمارية البريطانية في القرن التاسع عشر، والتي أدت إلى تهميش قبائل الشمال. ولذلك،

فقد اتقدت جذوة الأحقاد القبلية القديمة عندما استولى موسوفيني على السلطة وشنت قواته هجمات على القرى الشمالية، وفق ادعاء الأشوليين.

التفت بقايا قوات أوكيلو والانفصاليون المدنيون من الشمال حول قيادة أليس أوما Alice Auma، المرأة المشعوذة ذات الطموحات السياسية (المعروفة أيضًا باسم لاكونيا). كانت أليس تدعّي أن روحا قد تلبستها. وتعني كلمة لاكونيا في لغة الأشولي الرسول أو الوسيط.

زعمت أليس أن لاكونيا حملتها رسالة تأمرها فيها أن تطهّر شعب الأشولي من خطاياهم، وأن تحشد لانقلاب عسكري ضد حكم موسوفيني. وأطلقت المشعوذة على نفسها اسم أليس لاكونيا، وعلى الميليشيات التي شكلتها اسم حركة الروح القدس the Holy Spirit Movement. ومن الغريب، مثلما كانت القصة غريبة بكاملها، أن هذه الحركة أبدت مقاومة صلبة أمام قوات موسوفيني قبل تراجعها إلى كينيا. وهناك، قضت أليس لاكونيا نحبها في يناير 2007 في معسكر للاجئين.

بعد هزيمة حركة الروح القدس، ادعى جوزيف كوني أنه ابن عم أليس، رغم عدم وجود رابطة دم بينهما، وأنه مكلف بإتمام رسالتها السماوية. كان جوزيف يأمل أن يلتف شعب الأشولي حول قيادته، إلّا أنّه باء بفشل مسعاه، حيث رفضه الشعب مما دفعه إلى الانتقام من أبناء هذا الشعب، وتنظيم حملة لتطهيرهم من خطاياهم. وردًا على رفض انضمام البالغين إلى حركته، أخذ على عاتقه تنشئة أطفال الأشولي بنفسه وتعليمهم معنى التحرير، وكان يؤمن أن الجيل الجديد سوف يكون مخلصًا له ولن يخونه أبدًا.

مارغريت؛ التضحية

عندما أمر القائد بإيقاع العقوبة على مارغريت، تجمع المتمردون جميعهم لمشاهدة الحدث. لم يبتهجوا ولم يضحكوا، ومع ذلك كانوا منجذبين إلى العنف كانجذاب الفراش إلى الضوء.

غالبًا ما تؤدي حرية إنسان في أوغندا إلى معاناة إنسان آخر. لم يجعل أطفال القرية تضحية مارغريت تذهب هباء، فقد استغلوا انشغال المتمردين، وتعاونوا على فك أيديهم من القيود. وفي لحظات، كان شقيق مارغريت وخمسة من رفاقه يتسللون هاربين إلى الغابة، وبقي الأطفال الآخرون في أماكنهم بالرغم من أن أيديهم غير مقيدة. لقد كانت العقوبة التي طبقّت على مارغريت هي ما حفّزهم على التخلص من قيودهم والهرب من محتجزيهم؛ ربما كان قرارهم صائبًا.

عندما تفاجأ القائد بهروب الفتية، أرسل أفضل قصّاصّي الأثر وراءهم، فألقوا القبض على أربعة منهم وأعدموهم فورًا.

استطاع شقيق مارغريت وطفل آخر الإفلات من ملاحقيهم وعادوا إلى قريتهم. انتاب أهالي القرية اليأس من رؤية أولادهم مرة أخرى، ولكن الآمال انتعشت لديهم عند رؤيتهم لاثنين من الأطفال المُختطفين يخرجان من الغابة.

لكن فرحتهم لم تدم طويلا؛ إذ إن الطفلين أبلغوهم بتهديد قائد المتمردين بقتل سكان القرية كلهم في حال هروب أي طفل من الأطفال المُختطفين. سارع الأهالي عند سماع ذلك إلى أكواخهم، وجمعوا ما خف حمله وغلى ثمنه، وانطلقوا إلى عاصمة الإقليم.

وبعد ساعات قليلة، وصل المتمردون إلى القرية، وطوّقوها. ولكنهم حال دخولها، وجدوها مهجورة، فأشعلوا فيها النار. وما إن انتهى النهار، حتى كانت القرية أثرا بعد عين؛ دخانا متصاعدا من بقايا الأكواخ.

طريق الحرية الصعب

فـي عصر يوم من أيام يونيو 2006، دخلت ثلاث فتيات في السادسة عشر من العمر إلى مركز منظمة وورلد فيجين لأطفال الحرب. كانت الفتيات يشبهن هياكل عظيمـة متحركة بعيون حائرة. وحال دخولهـن، استقبلهن بعض الجنود السابقيـن الذين عرفوهن في جيش الـرب بترحيب حار، في حين لم تبد فتيات المركز أي تعاطف معهن.

وصلت الفتيات حليقات الرؤوس تمامًا، وكانت إحداهن مصابة بحرق شديد في رأسها كشف عن جزء من جمجمتها، كان المتمردون يعدّون العشاء عندما شن الجيش النظامي هجومًا عليهم. وفي أثناء عملية الانسحاب، أمر قائد المتمردين هذه الفتاة المصابة أن تحمل قدرًا ساخنًا على رأسها، ولكنها تعرقلت وسقطت، فسالـت محتويات القدر الحارة علـى رأسها فحرقته. تركهـا القائد في مكانها ولحـق بالمتمردين الفارّيـن. وعندما دخل الجنود النظاميـون المعسكر، عثروا على هذه الفتاة المصابة.

وهنـاك شـيء آخر ميز أولئـك الفتيات الثـلاث، وهو أن غالبيـة الفتيات المراهقات في المعسكر كن أمّهات صغيرات، أما هنّ فلم تحمل أي واحدة منهن طفلا بين ذراعيها.

يرغم جيش الرب بعض الفتيات على القتال مجنّدات، ولكن الضباط الكبار يتقاسمـون معظم الفتيات ليكنّ محظيّـات لهم. وكان من الطبيعي أن يكون عند أحدهم أربع محظيّات أو خمس، بل إن شهود عيان ذكروا بأن جوزيف كوني كان يحتفظ بستين جارية صغيرة.

أحيانـا، يفلح الأطفال العبيد فـي الهرب من أسر جيش الرب مستخدمين مهاراتهـم الخاصة، على حين يجري إنقاذ آخريـن في غارات الجيش النظامي

على معسكرات المتمردين. واعترافًا منها بأن الأطفال الجنود لم يلتحقوا بجيش الرب طواعية، فقد أصدرت الحكومة الأوغندية في عام 1999 قانون العفو العام الـذي نصّ على وقف ملاحقة أي مقاتل في جيشـ الرب؛ بمن فيهم كوني وكبار ضباطه إنْ سلّم نفسه إلى الحكومة الرسمية.

عنـد احتجاز الجيش النظامي الأطفال الجنود، يقوم بتسليمهم إلى وحدة حماية الأطفال الموجود في ثكنة الجيش في غولو. هناك، يبقيهم الجيش عدة أيام للتحقيق معهم، من أجل جمع معلومات استخباراتية تتعلق بالمتمردين. ويعرض ضباط الجيش على الأولاد الكبار في السن الانضمام إليه في الحرب ضد جيش الرب، وقد قبل عدد كبير منهم هذا العرض.

لكـن إجـراءات الجيشـ النظامي، ومنها طـول فترة التحقيـق، والتجنيد الإجبـاري لـلأولاد الكبار في السـن، أدت إلى انتقادات مـن منظمات الأطفال، وقالت إن وجود مدنيين في هذه الوحدة يوفر حماية أفضل لحقوق الأطفال.

بعـد انتهاء هذه الإجـراءات، يرسل الجيش النظامي هـؤلاء الأسرى إلى مركز تأهيل. ولأن أولياء الأمور يعرفون تسلسل هذه الإجراءات، فإنهم يترددون بانتظام على مراكز منظمة وورلد فيجين أملا في العثور على أطفالهم المُختطفين. وقـد تنقلب فرحتهم إلى غمّ وهـمّ عند رؤية أولادهم بأطراف مبتورة، أو بناتهم حاملات أطفالا.

إنّ معظم الأطفال المجنّدين يعرفون اسم منظمة وورلد فيجين، ولكن في محاولـة لتثبيط هؤلاء الأطفال عن الهرب، يقوم قادة جيش الرب ببثّ معلومات مغرضـة غير صحيحة عـن المنظمة؛ كادعائهـم بأنها سوف تعطيهـم السّمّ أو البطاطا المخلوطة بشظايا الزجاج.

ومن أجل إزالة خوف القادمين الجدد، ينظم موظفو المنظمة حفل استقبال لهم. فعندما يدخلون المركز، يخرج إليهم الأطفال المحررون بأذرع مفتوحة لاحتضانهم، ثم يغنون معًا ويرقصون.

وبعد الانتهاء من حفل الاستقبال مباشرة، يبدأ فريق طبي متخصص بالكشف الطبي لتقدير الوضع الصحي لهم. قد يكون بعض الأطفال مصابين بجروح خطيرة، مما يستدعي رعاية طبية في المستشفى. وغالبًا ما يكونون مصابين جميعهم بفقر الدم، وبداء الجرب، والديدان، وتشقّق الأقدام.

ومع مرور الوقت، وعندما يتكيف العبيد المحررون حديثًا مع البيئة الجديدة، يخضعون إلى إرشاد نفسي.

في البداية، يرفض الأطفال الحديث. ولمساعدتهم على التنفيس عن ذكرياتهم المؤلمة، يستخدم المرشدون؛ التمثيل والرّقص والغناء والرسم. وكثيرًا ما يرسم معظم الأطفال الأعمال المقيتة التي شاركوا فيها قبل البدء في الحديث عنها.

مارغريت تصبح مجنّدة

قبل بلوغها سن الحادية عشرة، انضمت مارغريت إلى الأولاد في التدريبات العسكرية، حيث تعلّموا كيفية تفكيك البندقية الآلية وإعادة تجميعها، وكيفية إمساكها والتصويب بها، وتلقي ارتدادها بالكتف.

كما علّمهم الضباط الأساليب القتالية وفنون الانسحاب. ومع مرور الوقت، تحول الأطفال المختطفون إلى أطفال مجنّدين.

obeikandl.com

أما الرجال الأكبر سنًّا الذين يُلقي جيش الرب القبض عليهم، فيُستخدمون لحمل الأسلحة الثقيلة وخيام الضباط، وأيّ أشياء ثقيلة أخرى. وكان هؤلاء الحمّالون يثيرون دهشة مارغريت دائمًا لصبرهم على أعبائهم دون شكوى.

ولكن يبدو أن أحد الحمّالين لم يعد يستطيع تحمل المزيد، فحاول الفرار في صبيحة أحد الأيام. كان فريق الدورية الليلية قد عادوا إلى المخيم، وكانوا منشغلين في تناول الإفطار. زحف الحمّال نحو خمسين مترًا، ثم انتصب على قدميه، وأخذ يعدو بأقصى ما لديه من سرعة. رآه طفل مجنّد كان يجمع الحطب لإشعال النار، فأطلق صفارة الإنذار. تحول المعسكر الغارق في سباته إلى دوامة من الحركة. وما إن صاح الضباط بالأوامر حتى أخذت موجات من الأطفال المجنّدين يركضون إلى خارج المعسكر بحثًا عن الحمّال الهارب. في تلك الأثناء، استغلت إحدى البنات – التي عرفتها مارغريت من المدرسة – حالة الفوضى السائدة لتفر في الاتجاه المعاكس.

ولسوء الحظ أن الحمّال والفتاة لم ينعما بحريتهما لأكثر من عشر دقائق؛ لأن الأطفال المجنّدين قبضوا عليهما وأعادوهما إلى المعسكر.

أعلن أحد كبار الضباط أن الهروب أعظم خيانة يمكن أن يقدم عليها العبد. وما إن أنهى بيانه المختصر حتى بدأ عدد من الضباط الأصغر رتبة في طعنه بحرابهم في مؤخرته. بدا الأمر بالنسبة إليهم لعبة مسلية؛ فكلما علت صيحاته ألما، زادت متعتهم في تعذيبه. بعد ذلك، تناوبوا على ركله في أنحاء جسده كله، فانقلب على ظهره، فسارع أحدهم بقطع عضوه الذكري. وأخيرًا، قرر أحد الجنود وضع نهاية لهذه اللعبة بعدما أزعجه سماع صرخات الألم، فهوى بحربته بقوة مخترقة صدر الرجل، فتوقفت الصرخات إلى الأبد. بعدئذٍ، انتقل التعذيب إلى الفتاة، حيث طعن الضباط ثدييها عدة مرات. وعندما كان يهمّون بتوسيع

نطـاق التعذيب، أمرهم أحد القادة بالتوقف، وقال بصيغة آمرة: يجب أن يتولى زملاؤها تعذيبها.

جـال ببصره في البنات المُختطفات حديثًـا، واختار اثنتين منهن، وطلب إليهمـا التقـدم إلى الأمام. فجأة، وكأنما خطرت له فكـرة ما، نظر مباشرة إلى مارغريـت، وقـال: أنت، تعالي إلـى هنا. أعتقد أنك قد تعلمـت درسًا من عقوبة الضرب التي مررت بها.

لـم ينتظر طويلا، فأمر الأولاد المُجنديـن بإعارة هراواتهم إلى القاتلات اللواتـي اختارهن. في البداية، أخذت البنات يضربن جسد الضحية، ولكن هذه الطريقـة أطالت مـدة عذابها. ولذلك، أخذن بضربها علـى رأسها حتى هشمن جمجمتها وتركنها جثة هامدة.

فلورنس لاكور؛ احتفال الحريق

بعـد ساعات من وصول الأطفال المحررين مـن قبضة جيش الرب، كانت فلورنس توزّع عليهم مجموعة من الثياب الجديدة، وتأخذ منهم الثياب التي كانوا يرتدونها، محتفظة بها في المخزن. وغالبًا ما يكون الأطفال قد غنموا تلك الثياب مـن الضحايا الذين قتلوهم. والغريب في الأمر أنهـم كانوا مترددين في تسليم هذه الثياب. فهم لم يكونوا يملكون أشياء كثيرة وهم بالأدغال، ولذلك كانت هذه الملابس غطاءهم الأمنيّ نوعًا ما.

كانت فلورنس تترأس اجتماعًا شكليًّا كل شهر؛ تجمع الأطفال في حلقة، ثم تضـع كومة في وسطها، وتسأل الأطفال إن كانوا يعرفون ما فيها. كانوا يتقدمون إلـى مكان الحزمة واحـدًا تلو الآخر، فيتعرفـون إلى شيء كان جـزءا من زيّهم الرسمي في الأسر.

بعد الانتهاء من هذا الاستعراض، كانت ترشدهم ألّا يظلوا أسرى لماضيهم، وأن لا أحـد يستطيـع إرغامهم على أداء أعمال فظيعة، وأنهـم أحرار في اتخاذ قرارات وخيارات تهديهم إلى طريق الصواب.

وفي ختام هذا الاجتماع، كانت تطلب إلى إحدى الفتيات أن تسكب الكاز على الحزمة، ثم تعطي علب ثقاب إلى الأولاد لإشعال النار بالحزمة في ابتهاج احتفالي.

تشارلز؛ طقوس التعميد

كان القائد العام جوزيف كوني ينتزع خوفهم من خلال طقوس دينية. بعد اعتقاله بفترة قصيرة، اقتيد تشارلز والمُختطفون الجدد إلى معسكر كوني، وقرأ عليهم صلوات، وأدى طقوسًا استخدم فيها الزيت المُستخرج من جوز الشيا.

عندما تمسحون أجسادكم بهذا الزيت، فإن رصاصات الأعداء لن تستطيع اختراقها، كان يقول وهو يلطخ جسمه بالزيت. ويضيف: لقد أصبحت روحي الآن جـزءا من أرواحكم، ولدي القدرة في سبـر غوركم ومعرفة ما تفكرون فيه. فإن حاولتـم الهروب في أثناء معركـة ما، أو إذا أخذتم تفكـرون في عائلاتكم التي تركتموهـا وراءكم، فسوف تتوقف روحي عن حمايتكـم، وبالتالي، سوف يقتلكم أعداؤنا.

وكان كونـي يوحي إلى الأطفال أنهم قد اختيـروا بالذات لهدف خاص هو تطهيـر أوغندا، وإنشاء مملكـة جديدة؛ لأن الله قد لعن موسوفيني وجنوده، ولن يمضي وقت طويل إلّا وهم منهزمون؛ فنحن نقاتل من أجل سلام شعب الأشولي.

كانت التعاويذ والطقوس الروحية تهيمن تقريبًا على جوانب حياة المتمردين كلها. وقد أوكلت إلى تشارلز مهمة تعميد الأطفال روحيًّا؛ كان يأخذهم إلى النهر، ويصب فوق رؤوسهم خليطًا من الأعشاب الخضراء المنقوعة في الماء. وكان في أثناء ذلك يدعو أن يتطهر الأطفال من دنس المعصية.

السودان والصراع الأوغندي

مثلما كانت تغذي الحرب في دارفور، قامت الحكومة السودانية بدور كبير في إثارة النزاع في شمال أوغندا.

وافق جيش الرب للمقاومة على مساعدة الحكومة السودانية في الحرب ضد الجيش الشعبي لتحرير السودان مقابل تزويده بالسلاح والأغذية بانتظام. وفي منتصف تسعينيّات القرن الماضي، كان الجيش الأوغندي النظامي قد طوّر من قدراته القتالية في ملاحقة مقاتلي جيش الرب الذين كانوا ينسحبون دائمًا إلى مناطق الريف الأوغندي، ولذلك قرر الجيش نقل قواعده إلى جنوب السودان.

وقد أدى تورط السودان في الصراع الأوغندي إلى تدخل الدول الغربية بصورة أو بأخرى؛ حيث صعّدت الولايات المتحدة حملتها ضد الإرهاب في أعقاب هجمات 11 سبتمبر 2011. ولتبرير هذا التدخل، أعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش جيش الرب للمقاومة منظمة إرهابية. وبعد أن تعرضت إلى ضغوطات كبيرة لإثبات عدم مساندتها للإرهاب، قالت الحكومة السودانية بأنها أوقفت الدعم الاستعلامي (اللوجستي) لجيش الرب. إلا أن هذا الدعم عاد إلى التدفق في عام 2002، عندما ساعد جيش الرب السودان في استعادة بلدة توريت الاستراتيجية من الجيش الشعبي لتحرير السودان.

وفي عام 2002، أطلق الرئيس الأوغندي موسوفيني حملة واسعة النطاق ضد قواعد جيش الرب في جنوب السودان. ومع أن الجيش النظامي كان معدًّا للقضاء على جيش الرب بالكامل، إلا أن العملية، بدلا من ذلك، أثارت عش الدبابير.

لقد كان هجوم الجيش الأوغندي النظامي على قواعد جيش الرب شرسا، مما اضطر مقاتلي هذا الجيش إلى الانقسام في وحدات صغيرة استطاعت التسلل إلى جنوب أوغندا مرة أخرى. وفي خلال عام ونصف من هذه العودة، خطف جيش

الـرب عشرة آلاف طفل، وعاث في الأرض فسـادًا. ولم يتمكن الجيش النظامي من استعادة شيء من السيطرة العسكرية الرمزية إلا في نهاية عام 2004، فعاد متمردو جيش الرب يتدفقون إلى جنوب السودان مرة أخرى.

وفي أغسطس 2006، وقعت الحكومة الأوغندية وجيش الرب للمقاومة هدنة فـي الحرب الدائرة بينهمـا. وقد نصّت شروط الهدنة علـى مغادرة المتمردين لقواعدهـم في جميع أنحاء السودان والكونغو، والتمركز في قاعدتين في جنوب السودان. في حين تعهدت حكومة جنوب السودان بحماية جيش الرب، كما التزمت الحكومة الأوغندية بعدم مهاجمة المتمردين. ولم يمض أكثر من شهر حتى انتهك الجانبان شروط الهدنة[7].

وزادت المحكمة الجنائية الدوليـة الأمور تعقيدًا عندما أصدرت مذكرات اعتقـال بحق قيادات جيش الـرب، مما يعني محاكمة جوزيـف كوني وأربعة من كبار قادته بارتكاب جرائم حرب. يومها، طالبت منظمات سياسية بوجود لائحة اتهام إذا كنا نريد تحقيق العدالة، في الوقت الذي قالت فيه منظمات أخرى بأن لائحـة الاتهام قد سدّت الطريق أمام قيـادات جيش الرب، ولم تعطهم أي خيار لوقف الحرب، وهذا ما دعا جوزيف كوني إلى الإعلان بعدم إلقاء السلاح وعدم الاستسلام طالما ظل هو وقادته مهددين بالاعتقال.

وظهرت بادرة أمل في السلام عام 2008، عندما أُشيع أن كوني على استعداد لتوقيع اتفاق سلام. انتظر مندوبو الأمم المتحدة وآخرون عدة أيام بانتظار قدوم كوني، لكنه لم يفعل. وما حدث، بدلا من ذلك، أن مقاتلي جيش الرب هاجموا قرية في الكونغو في عيد الميلاد عام 2008، فاختطفوا الأطفال وقتلوا المدنيين. حينها، بدا أن جيش الرب أخذ يطبق أساليبه في شمال أوغندا على أجزاء من الكونغو.

مارغريت؛ زوجة جيش الرب للمقاومة

عنـد بلوغها السنـة الحادية عشرة مـن العمر، لم يعـد يُسمح لمارغريت بمشاركة الأولاد في العمليات القتالية، فقد استدعاها ضابط كبير وقال لها: آن الأوان لتصبحي زوجة.

لـم يكـن لديها أي فكرة عـن معنى أن تكون زوجة، فقـد كانت تعتقد، بعد ملاحظة الفتيات الأكبر عمرًا، أن ذلك يعني إعداد الطعام للضابط وغسل ثيابه.

في اليوم التالي، سُلّمت مارغريت إلى مايكل، وهو ضابط في العشرين من عمـره، أمضى تسع سنوات مع جيش الرب. كانت لديه زوجة أخرى تولت تعريف مارغريـت بواجباتها المنزلية. في تلك الليلة، قال مايكل لزوجته الأولى: اذهبي ولا تعودي إلا بعد ساعة، ثم أمر مارغريت بدخول الخيمة. حال دخولها، أمسكها من رقبتها وحسر عنها ثوبها. استطاعت مارغريت التحرّر من قبضته وانطلقت هاربة من الخيمة إلى الغابة، ونامت تلك الليلة في العراء.

في صباح اليوم التالي، عادت إلى الخيمة. كانت زوجة مايكل الأولى منهمكة في غسل سراويل وسخة. جلست مارغريت إلى جانبها، ثم تناولت سروالا متسخًا لتغسله؛ وخيّم الصّمت عليهما.

شعرت مارغريت بالارتياح لعدم رؤية حذاء مايكل خارج الخيمة، فاعتقدت أنه قد غادر في مهمة ما.

بعد ساعات قليلة، جاء ضابط كبير إلى الخيمة، وقال لمارغريت أنها بحاجة إلى توجيه، وأن مايكل قد أخذ مجموعة من الأولاد للتأكد من إشاعات عن تحركات العدو على الضفة الأخرى من النهر وأنه لا يتوقع عودته حتى مساء الغد.

هـزت مارغريت رأسها، وشعرت بفيض مـن السعادة لحصولها على فترة إمهال ليوم واحد على الأقل.

لكن الضابط أضاف بنبرة حادة: لقد أبلغني مايكل بما حدث الليلة الماضية. إن تصرفـك هذا غير مقبـول؛ لأنه لا يحق لك رفض ممارسة الجنس مع ضابط في جيش الرب.

أحسـت مارغريت بالخوف، واكتفت بهزّ رأسهـا بالموافقة عندما قال لها غاضبا: عليك فعل أي شيء لإرضاء زوجك. هل هذا مفهوم؟

ومع أن مارغريت هزت رأسها مرة أخرى، إلا أن الضابط لم يترك أمامها أي فرصـة للرفض، فقال: سوف تُحرمين من الطعـام إلى أن تنامي مع زوجك. وإذا سمعتُ أنك قد عصيت أمري، فسوف يكون عقابك أشد مما تتصورين.

ظلـت مارغريت دون طعـام بقية اليوم، واليوم الذي تـلاه أيضا. وفي ليلة عودة مايكل، دخلت خيمته، فقام باغتصابها؛ صامتة.

حينهـا فقط، عرفت معنى أن تكون زوجة فـي جيش الرب، وكان عليها أن تقضي السنوات الست القادمة عبدة لنزوات مايكل.

فلورنس لاكور؛ مجتمع الناجين

قدّمت 75 امـرأة شابة رقصة شعبية في الساحـة الرئيسة لمركز منظمة وورلـد فيجين. حملـت كل واحدة منهن في يدها فأسًـا خشبيّة صغيرة، وحرّكن أقدامهن وأيديهن حركة جماعية متناسقة. وأمام هذا التشكيل، جلست امرأتان القرفصاء يقرعان الطبول بأكفهما بحماسة شديدة.

وقفت فلورنس بين ضاربتي الطبول، وهي تهز جسدها إلى الأمام وإلى الخلف. ومع أنها كانت متوسطة الطول، إلا أنها بدت في تلك اللحظة أطول من مترين. كانت تردّد كلمة بلغة الأشولي بين حين وآخر، على إثرها يبدلن الفتيات اتجاه الرّقص. ثم تحركت فلورنس بهدوء وثقة إلى مقدمة التشكيل الجديد.

استمر الرّقص على هذه الشاكلة لأكثر من ساعة. وكان أداء النساء مذهلا رغم الحرارة العالية والغبار المتطاير من الساحة الترابية. كانت أولئك الفتيات الشابات قد تخرجن من المركز، ويعشن الآن حياة مستقلة في مدينة غولو. وكنّ يعدن إلى المركز مرة في الأسبوع للمساعدة في إعداد الطعام والملابس، والدعم المعنوي.

وكانت الأنشطة، مثل هذا الرّقص، تذكر النساء أنهن لسن وحيدات، وإنما ينتمين إلى قبيلة روحانية من الناجين.

تتراوح أعمار هؤلاء الفتيات بين 16 — 24 عامًا، وربما كان 80% منهن يحملن أطفالاً رضّعا، أو يصطحبن أطفالا دارجين؛ هم نتاج عبودية الجنس التي عشنها مع ضباط جيش الرب للمقاومة.

كان جيش الرب يعلّم الذكور النظر إلى النساء على أنهن كائنات خُلقن للاستمتاع بهنّ، وأن يعاملوهن بقسوة إذا عصينهم. ويمكن أن نتصور هذه القسوة من شهادة إحدى المُختطفات المُحررات.

لقد أفادت هذه المرأة أنها شاهدت جوزيف كوني يصدر أوامره بإعدام اثنين من ضباطه الشباب لأنهم كانا يُحسنان صحبة عشيقتيهما. وأعلن عند إصدار الأوامر أن هذه القدوة السيئة ستكون مثل السرطان الذي سيقضي على

العلاقات الطبيعية في المعسكر. وبعد تنفيذ الإعدام، وزع كوني عشيقتيهما على ضباط أكثر استحقاقًا؛ كقطعة أثاث.

يؤمن المتمردون أن الجنس حق من حقوق الرجل، وهم لا يلتزمون بتحديد النسل أو بالوقاية. ولذلك، فإن معظم البنات في جيش الرب معرضات للحمل في أي وقت. ولأن الضباط يخشون الإصابة بالأمراض الجنسية، مثل مرض نقص المناعة المكتسب، فإن ذلك يغريهم على اختطاف البنات العذارى.

في مركز منظمة وورلد فيجين، تتلقى النساء توعية عن فيروس الإيدز والوقاية منه. وكثيرًا ما ترفض بعض النساء الخضوع لاختبار الكشف عن هذا الفيروس، مما يؤكد أنهن لم يُصبن به في المناطق الريفية. ولهذا، فإنهن يشعرن بالعار، ويرفضن الاعتراف بإصابتهن بهذا المرض.

إنّ الأمهات الصغيرات يُفضّلن البقاء في مدينة غولو؛ لأنهن يجدن صعوبة في التأقلم ثانية مع مجتمعاتهن الأصلية، التي تلصق بهنّ وصمة الاغتصاب. يُضاف إلى ذلك افتراض أن الأب الغائب عضو في جيش الرب المكروه، وهذا يزيد من عزلة الأم الصغيرة؛ فأي رجل يلتقيها، ويبدي رغبة في الارتباط بها، سوف يخشى أن يأتي ضابط في جيش الرب، يوم ما، لاستعادة زوجته.

ولا تزعم فلورنس أن طريق هؤلاء النسوة بعد التحرير مفروش بالورود. وهي تقول إن واحدة من بين ثلاث نساء ترجع إلى أب أطفالها - الرجل نفسه الذي اغتصبها واستعبدها - عندما يُلقى القبض عليه ويُمنح العفو. وتفضل كلّ منهن العيش مع الشيطان الذي عرفته على مواجهة شيطاني الفقر والعزلة الاجتماعية، وحيدة منبوذة.

بالمقابل، يرى ضبـاط جيش الرب رقائق الجنس ملكية شرعية لهم؛ فقد طلـب أحد هؤلاء الضباط المُفرج عنهم جمع شمله مع زوجاته في مركز منظمة وورلد فيجيـن. وعندما رفضت النساء أن تكون لهن أي علاقة به، اجتاحته نوبة غضـب شديدة، ولـم يقتنع أن مجرد اختطاف هؤلاء النسـاء لا يعطيه الحق في امتلاكهن.

تشارلز؛ العريف الشاب

حـلّ القتل والنهب مكان القراءة والرياضيـات في حياة تشارلز. لقد تعلم كيف يطلق النار، وينفّـذ الأوامر العسكرية، ويستكشف تحركات العدو، ويطمس أثر أيّ هدف مدني.

كان للغارات على القرى والعزّل المدنيين هدفان رئيسان، هما: الاستيلاء على الأغذية، واختطاف أطفال جدد لتجنيدهم. كان للمتمردين خططهم الخاصة في الغارات؛ فعند اقترابهم من القرية، يصطفون في صفّ طويل لمنع أي مدني مـن الهـرب. كانت العودة إلـى المعسكر دون طعام هي الحافـز الذي قد يعطي الطفـل المجنّد مبررًا للقتـل والفوضى التي ترافق الهجوم. لقـد أصبح تشارلز ورفاقه قتلة بلا ضمير.

مـا كان يشغل بـال تشارلز هو الجـوع والعطش؛ فالقادة كانـوا يستأثرون بالحصـة الكبرى من الطعام بعـد كل عملية هجوم ناجحة على أي قرية ونهبها. كانوا يعطون حصة واحدة إلى أكثر من اثني عشر مجندًا، فكان الأطفال يجلسون فـي حلقة، ويتناوبون في الحصول على لُقيمـات قليلة لا تسدّ جوعهم. ومن يأكل أكثر من حصته يُطرد من المجموعة، ولا يُسمح له بتناول المزيد.

obeikandl.com

أما ندرة المياه فكانت أصعب من مشكلة الطعام؛ فعلى الأقل، كان المتمردون في أوغندا يجدون ينابيع جارية. أما في السودان، فقد كان تشارلز يقضي ثلاثة أيـام على جرعة واحدة من الماء. وكان الأطفال المجنّدون يضطرون في أحيان كثيرة إلى شرب بولهم. أمّا الضعاف منهم فمصيرهم الموت عطشا في صحراء السودان.

ومع مرور الوقت، أخذ ضباط جيش الرب يلاحظون براعة تشارلز العسكرية. فعندمـا كان عمـره 13 سنة فقط، كافأه ضابط كبير عرفانـا بقيادته القوية في الميـدان، ورفعه إلى رتبة عريف، مما جعله يقود غـارات على القرى الصغيرة، واختيار الأولاد الذين يرافقونه في تلك الغارات.

عندما كان كبار الضباط يقضون ليلتهم في أحد المعسكرات، كان المتمردون يفرضون على المعسكر حماية مشددة؛ إذ كانوا يحفرون خنادق في حلقات متتابعة حـول المنطقة التي تنصب فيها خيمة الضباط. كان المُختطفون الجدد ينامون فـي الخنادق المكشوفة في الحلقات الخارجيـة، في حين يتمركز الأولاد الأقدم خدمـة في الحلقات الداخليـة. وعليه، فقد انتقل تشارلز إلـى حلقة داخلية بعد ترقيتـه، حتى أنه شارك فـي إحدى المرات في وضع التفاصيـل الأمنية لحماية القائد العام جوزيف كوني.

أخذ تشارلز يشعر بالفخر لكونه يرأس أطفالا أكبر عمرا منه. وكان يمارس سلطـة على الحمّاليـن، لكنه احتاج إلى بعض الوقت ليعتـاد على إصدار الأوامر للرجـال الكبار فـي السن. وكان يقول لنفسه بأنه سيأتـي اليوم الذي يصبح فيه ضابطًـا، وتكون له زوجات يطبخن له ويغسلن. كان الطريق واضحًا بالنسبة إلى تشارلـز، فإما أن يظل ضعيفًا وعرضة للضـرب، أو يصبح قويًّا، وحينها يمارس عملية الضرب على الآخرين.

إيدان لاغوم لومورو؛ اختراق عقلية العبيد

لسـوء الحظ، كانت الإساءة البدنيـة والنفسية المستمرة التي يتعرض لها الأطفـال العبيد على أيدي جيش الرب تـؤدي إلى نتيجة؛ فقد كان معظم ضباط الجيش الحاليين أطفالا مُختطفين، تشرّبوا الولاء لقائدهم جوزيف كوني.

بعد أسرهم وإطلاق سراحهم، وإرسالهم إلى مركز منظمة وورلد فيجين، يحـاول ضباط جيش الرب إنشاء ترتيب قيـادي، وإصدار أوامر للأولاد والبنات الصغيـرات لأداء خدمات لهم. وبالمثل، فعندما يقابلون نساء كن محظيّات لهم في السابق، فإنهم يتوقعون استمرار هذه العلاقة.

ولهـذا، أنشأت منظمة وورلد فيجيـن في عام 2003 مركز تأهيل منفصلا لليافعيـن الذي بلغوا 18 عامًـا من العمر، تولت إدارته إيدان لاغوم لومورو Idan Lagum Lumuro. لا يوجد أفراد كثيرون يمكن أن يطلق عليهم لقب «قوة الطبيعة» ولكن إيدان تستحق هذا اللقب بجدارة. وهي لا تستجدي الاحترام من الآخرين، بل تفرضه عليهم. لقد كان اختيار إيدان مسؤولة عن هؤلاء الشباب الذين دُرّبوا على احتقار النساء، قرارًا صائبا.

لا تقتصر مهمة إيدان على الواجبات الإدارية، فهي تعقد جلسات إرشاد مع الأطفـال المُجنّدين السابقين، وتتحدث عن الفرق بين العاطفة والمساءلة. كان جيش الـرب قد اختطف هؤلاء الشباب وكافأهم علـى وحشيتهم. وهي تؤمن أن هـؤلاء الشباب غير ملومين على هذا الجرم، ولكنهم إذا رفضوا تحمل مسؤولية سلوكهـم في المعسكر، فإن إيدان تؤنبهم بشـدة، وتطلب إليهم تناسي ماضيهم وتذكّر حاضرهم.

في بداية شهر يونيو 2006، جمعت إيدان نزلاء المركز جميعهم لبحث احتمالات إنهاء الحرب، وكانت تأخذ في الحسبان أربعة عوامل عند الاستماع إلى تعليقاتهم:

1. معظم هؤلاء الشباب كانوا أسرى لدى جيش الرب لأكثر من خمس سنوات.
2. معظمهم كانوا ضباطًا ذوي رتب عالية.
3. تمّ تحريرهم منذ مدة قصيرة فقط.
4. إيمان معظمهم بأن جوزيف كوني يمتلك قوة سحرية عظيمة، وأنهم إذا ما تحدثوا عنه بسوء، فسوف يعرف ذلك ويعاقبهم عليه.

كانت تدرك أن عقلية العبيد تعني عدم القدرة على التفكير خارج الإطار الذي يُحشر فيه الإنسان رغمًا عنه. ولذلك، كان من الصعب على هؤلاء الشباب الشفاء من غسيل الدماغ الذي تعرضوا له طوال سنوات من الانضباط الصارم.

في ذلك الاجتماع، أعرب أحد هؤلاء الشباب عن اعتقاده بأن كوني هو الوحيد الذي يستطيع تفسير ما يخططه الله لأوغندا. في حين ألقى آخرون باللائمة على موسوفيني لإطالة أمد الصراع، وقالوا إنّه كان ينتهك وقف إطلاق النار في كل مرة يوافق فيها كوني على مفاوضات السلام، ويحاول تدمير الحركة المعارضة. وأجمع الحاضرون على أن كوني لن يقبل أبدًا استسلامًا غير مشروط، أو تقديم نفسه إلى المحاكمة. وأضافوا بأن التدخل الدولي هو وحده الكفيل بحل الصراع؛ لأن موسوفيني لا يمكن الوثوق به.

obeikandl.com

كمـا ظهرت عقليـة العبودية أيضًا عندما تحول النقاش إلى خبراتهم في جيش الرب للمقاومة. لقد اعترفوا ببشاعة انتزاعهم من عائلاتهم وهم صغار، كما أعربوا عن ندمهم على الفظائع التي أجبروا على اقترافها بحق شعبهم. ولكن كثيرين اعترفوا أنهم سيعودون إلى جيش الرب إذا ما سنحت لهم الفرصة. فهناك، كانوا، على الأقل، يشعرون بالانتماء إلى عالم الثورة، أما الآن فإنهم يرون أنفسهم مثل قطعة مفقودة في لعبة أحجية المجسمات؛ إنهم لا ينتمون إلى أي مكان.

مارغريت؛ لعبة الأرقام

ظل زوج مارغريت يتمتع بالحظوة عند كبار الضباط الذين نفحوه زوجتين إضافيتيـن. وهـذا أمر ذو دلالات كبيـرة؛ لأن امتلاك أربع زوجـات يقوي مكانة الضابط في جيش الرب.

وقـد سعدت مارغريـت بترقية مايكل لأسباب خاصة بهـا. فمع وجود أربع محظيّات يختار من بينهن، سيقل استدعاؤه لها إلى الخيمة ليلا.

ومع أنه كان يعامل زوجاته بقسوة، إلا أنه كان ينفس غضبه في واحدة منهن في كل مرة. وهذا ما يجعل لعبة الأرقام لصالحها؛ لأن سَوْرة الغضب سوف تتوزع على الجميع.

وعندمـا تفرغـت زوجـات مايـكل السابقـات لتربيـة الأطفـال، ازدادت مسؤولياتهـا. كانت البنات كلهن يتحملن مسؤولية رعايـة الأطفال، وكان مجرد تغيّر مكان المعسكر كل يومين أو ثلاثة مهمة صعبة، وبوجود الأطفال الدارجين، يصبح أكثر صعوبة.

استقرت فرقـة المتمردين التي تتابعها مارغريت في جنوب السودان مدة عام تقريبًا. ومضت الحياة عادية باستثناء بعض المناوشات المتقطعة مع متمردي

جنوب السـودان. صار العطش والجوع أشدّ أعدائهـم، وكانوا أحيانًا ما يقضون يومين متتاليين دون طعام، وكانوا يسكتون أصوات مِعَدهم بمضغ أوراق الأشجار وأكل جذور بعض النباتات.

أحيانا، كان الجوع يدفع وحدة مارغريت العسكرية إلى القيام بأعمال يائسة، كأن تلجأ إلى نصب كمائن للسيارات. وقد غنموا في إحدى المرات حاوية فاصولياء عند مهاجمة شاحنة للجيش الشعبي لتحرير السودان على إحدى الطرق القريبة من الحدود. كما وصلوا إلى الحد الذي لم يستطيعوا معه تحمل الجوع، فهاجموا قرية سودانية شديدة التحصين، ولكنهم لم يغنموا شيئًا، بل خلّفوا وراءهم كثيرًا من الأطفال المُجندين قتلى.

ثـم شن الجيش الأوغنـدي النظامي عملية «القبضـة الحديدية»، فتسللت وحـدة مارغريت عائدة إلـى شمال أوغندا. ولم تستقـر وحدتها في مكان واحد طول العامين التاليين.

كان الضباط يبقون زوجاتهم وأطفالهم قريبًا منهم خشية لجوء البنات إلى الهرب. وكانـوا محقين في خوفهم. فقد حاولت مارغريت الفرار في أثناء غارة علـى إحدى القرى. كان مايكل قد كلّفها بنهب البيوت في أثناء الهجوم. وعندما دخلـت البيـت الأول، وجدت امرأة في العشرينيات مـن عمرها تقبع مرتعدة في إحـدى الزوايا. تصرفت مارغريت بتلقائية، وطمأنت المرأة بأنها لن تؤذيها إذا ما ساعدتها على الفرار. أخفت المرأة الممتنة مارغريت تحت بطانية، وانتظرت انتهـاء الهجوم. مرت ربـع ساعة لم تسمعا خلالها أيّ صـوت في محيط البيت، فاعتقدتا أنهما في مأمن. لكن حلمها تبدد عندما اقتحم مايكل واثنان من الأطفال المُجنديـن هذا المنـزل. كانوا يبحثون عن شيء محـدد، ولم يجدوا صعوبة في العثـور عليه تحـت البطانية. سحبها مايـكل بقوة، لدرجة شعـرت فيها أن يدها سـوف تقتلع من مكانها، ثم جذبها إلى خارج البيت، في الوقت الذي تناهت إلى

سمعها آهات المرأة التـي كان الولدان يقطّعانها بسواطيرهم. وعند العودة إلى المعسكر، ضرب مايـكل مارغريت حتى أشرفت على الهلاك، وكانت هذه آخرة مرة تفكر فيها بالهرب.

أطلال الحرب

ينبغي أن تكون عبودية الأطفال سببًا كافيًا لتدخل المجتمع الدولي، ووضع حدّ لهذه المآسي الإنسانية، سواء في شمال أوغندا أو في أي مكان آخر في العالم. وقـد أثرت الحرب في أوغندا في جميع السكان، مما يحتم على المجتمع الدولي تحمّل التزاماته الأخلاقية دون تأخير.

وبناء على تقارير وإحصائيات الأمم المتحدة، جرى تشريد 1.7 مليون نسمة؛ نحو 85% من مجمـوع سكان شمال أوغندا – من بيوتهم، ووضعهم في مخيمات المشرديـن داخليًّا. وما يزال ثلث هـؤلاء الأشخاص يقيمون في تلك المخيمات، أكثر من نصفهم أطفالا[8].

وفي مخيم بابو، القريب من مدينة غولو، هناك أكثر من 45 ألف مشرّد، مما يجعله أكبر مخيم لإيواء المشردين في شرق إفريقية. ولا يوجد في المخيم سوى مصدر واحد لمياه الشرب. ممـا يفرض على قاطنيه الاصطفاف لمئات الأمتار للحصـول على حصتهم من الماء. أمّا الأكواخ فيـه فمتلاصقة مما يجعله قنبلة موقوتـة قابلة للانفجار في أي وقت. هذه الظروف المأساوية، أدت إلى ارتفاع معـدلات انتشار الأوبئـة والإيدز، كما أدى اشتعال حريق في أحد الأكواخ إلى تدميـر أكثـر مـن ثلاثـة آلاف كـوخ فـي مطلـع عـام 2004[9].

ويبذل الممثلون المُنتخَبون في مخيم بابو قصارى جهدهم للتعامل مع هذا الوضـع البائس. وهم يعترفون بصعوبة الحدّ من هـذا البؤس في المخيم ما لم

تتوصل الحكومة الأوغندية وجيش الرب إلى تسوية نهائية. ويقول أحد كبار قادة المخيم: لقد نسينا أننا بشر منذ مدة طويلة.

تشارلز؛ شراء بندقية

بعدما صار تشارلز في رتبة عريف، أصبحت فرص الهروب أمامه أكثر احتمالا. فكثيرًا ما كان ينفصل عن المقاتلين الآخرين وهم في خضم المعركة. وقد تعلّموا كيف يعيدون تجميع أنفسهم بعد انتهاء القتال. وكان من السهل الهروب في الاتجاه الآخر بدلا من الانضمام إلى وحدته مرة أخرى.

وبالرغم من توافر هذه الفرص، إلا أن لدى تشارلز أسبابا كثيرة تجعله حذرًا من محاولة الهرب. كان الضباط يحذرون مرارًا وتكرارًا أن الجيش النظامي يقطّع الأطفال المُجندين إلى قطع صغيرة، ومما يدعم هذا الادعاء اختفاء الأولاد أحيانًا دون العثور على أي أثر لهم.

وحتى لو أنه كان مستعدًا لتحمّل العواقب، إلا أنه كان يواجه مشكلة أخرى؛ أين سيذهب؟ فقبل اختطافه، لم يعرف تشارلز حياة أبعد من حدود بيته. ولأنه شارك في قتل اثنين من رجال قريته، فإنه لا يستطيع العودة إليها. سوف يكون غريبًا في أي مكان يحل فيه. لذا، بقي حيث هو، وتصبّر على معاناته.

وفي عصر أحد الأيام، وبعد بلوغ عامه الرابع عشر، خلا إلى نفسه، وتدافعت الذكريات أمام عينيه حاملة وجوه جميع من قتلهم، وبخاصة المدنيين العزّل. حينها، أراد محو هذه الفظائع كلّها من ذاكرته والعودة إلى ابن القرية البريء الذي فقده منذ مدة طويلة. وأخيرا، قرر الإياب إلى قريته. قال لنفسه: نعم سيقتلني جيراني القدامى، ولكني سأحظى بجنازة لائقة، وسيدفنونني باحترام.

ولكـن إن قُتلتُ في مواجهــة مسلحة، فسوف أكون جيفــة تلتهمها الضواري، ولن يحزن لموتي أحد.

أخفى تشارلز كيس نومه في الغابة، حمل بندقية، وانطلق مسرعًا في الابتعاد عن المعسكر. لم يتوقف عن السير حتى أرخى الليل سدوله، فاستلقى على الأرض ليستريح تحت السماء الملبدة بالغيوم. أخذ المطر ينهمر كفوهات القِرَب، لكنه ظل مستلقيًا في مكانه، ولم يحاول البحث عن ملجأ آخر، بل ترك الماء الطاهر ينساب على جسده ويبارك رحلته.

مع بزوغ أشعة الفجر، أخذت الغيوم تنقشع ، فنهض من مكانه وتابع سيره. لــم يقابل في طريقه أي إنسان. ولكن عند انتصاف النهار، سمع أصواتا نسائية عاليــة آتية من أمامه. اختبأ وراء سيــاج من الشجيرات الكثيفة، ثم أخذ يزحف إلى الأمام ليتمكن من تقدير خطورة الموقف. وعند اقترابه من مصدر الصوت، رأى ثلاث نساء يهوين بفؤوسهن على قطعة أرض منبسطة لإعدادها للزراعة.

أدرك أنــه سوف يخيفهن لو ظهر لهــن فجأة. لذا، دفن بندقيته، وعاد إلى الممر، وأخذ يمشي بتُؤدة مارًا من أمامهن. حيّينه بحرارة، بالرغم من أنهن لم يخفين دهشتهن من رؤية غريب يسير وحيدًا في هذه المنطقة النائية. عرف ذلك من نظراتهن المتسائلة، لكنه لم يدع حيرتهن تدوم طويلا ، فسألهن بلطف: هللا ترشدنني إلى أحد قادة قريتكن، لقد هربت من جيش الرب، وأريد تسليم نفسي. عند سماعهن اسم جيش الرب، تملكهن الرعب، ثم قالت إحداهن بصوت مرتعش: لا أعرف كيف يمكننا مساعدتك. أجابها تشارلز مطمئنًا: لا أريد إيذاء أي إنسان، أريد فقط أن أنتهي من هذا الوضع الذي أنا فيه. حسنًا. سوف آخذك إلى زوجي، ربما يعرف كيف يساعدك، ردّت إحداهن. جرى تشارلز عائدًا إلى المكان الذي خبأ فيه البندقية، وعاد وهي تتدلى من كتفه إلى حيث كانت المرأة في انتظاره. ومع أن رؤية البندقية زادت من توترها، إلا أنها سارت أمامه.

وجدا زوجها يحفر بئرًا وراء امتداد دائرة الأكواخ. عندما رأى الزوج طفلاً مسلحًا يسير وراء زوجته، أحس بالخوف، وقبض على المجرفة بقوة. هدّأت المرأة من روع زوجها، وشرحت له سبب وجود تشارلز. تفحّص الرجل تشارلز بعينيه، وهو يستعرض أفضل الطرق لمساعدته، ثم قال: لا بأس، عليك التخلص من هذه البندقية أولا قبل التّحرّك من هنا؛ فأي شخص يراك حاملا تلك البندقية سوف يهرب منّا، أما الذين لن يهربوا ... فأنت تعرف ماذا سيفعلون.

بالرغم من تردده، وافق تشارلز على تسليم بندقيته. تناولها الرجل، ومن ثَـمَّ رماها فورًا خلف كومة من التراب الذي استخرجه من حفرة البئر، ثم قال: أعتقد أن من الأفضل اقتيادك إلى رئيس مجلس القرية. إنه على بعد مسير عشر دقائق من هنا.

انطلـق الرجل أمامه عبر ممر ضيق بعيـدًا عن الأكواخ. كان يحثّ الخطى سريعـا لدرجة جعلت تشارلـز يركض للحّاق به. لم يبتعد كثيـرًا. فبعد أن قطعا مسافـة قصيرة قابلا جنديين من الجيش النظامي آتيان في دورية من الاتجاه المعاكس. طلب الرجل من تشارلز تسليم نفسه لهما. اقتاده الجنديان إلى الحامية العسكرية ولم يتحدثا إليه كثيرًا. أعدّ تشارلز نفسه للتعذيب الذي ينتظره. ولكنه دهش كثيرًا عندما استقبله ضابط كبير بحفاوة، وصافحه بحرارة وهو يقول له: أهنئك على شجاعتك وتركك لجيش الرب.

أمضى تشارلز يومين في الحامية العسكرية، كان في أثنائها ينام على سرير نقال، ويلتهم كل ما يقدّم له من طعام. وفي اليوم التالي، نقلوه في شاحنة عسكرية إلـى مقر القيادة الإقليمية في غولو. في هذا المقرّ، قضى يومين آخرين، أجاب فيهما عن قائمة طويلة من الأسئلة التي تمحورت حول أنشطة جيش الرب للمقاومة. وبعـد الانتهاء من الأسئلة، قال له ضبـاط الاستخبارات العسكرية: ستُرسل غدًا إلى مركز منظمة وورلد فيجين.

كان اسـم المنظمة مألوفًا بالنسبة له. فلطالما تحدث ضباط جيش الرب عن التعاويذ الشيطانية التي تسحر بها المنظمة المتمردين الأسرى.

وبالرغم من تخوفه، إلا أن نقل تشارلز إلى مركز المنظمة كان أسعد يوم في حياته؛ فحال وُلُوجِه بوابة المركز، استقبلته مجموعة من الأولاد والبنات، وأخذوا يحتضنونه، ويعتلون ظهره. وعرف من بينهم كثيرًا من المُجندين السابقين الذين كان يعتقد أنهم قضوا نحبهم في المعارك.

لم يستطع تشارلز التأقلم مع الوضع الجديد بسهولة، وظلت كوابيس عمليات القتل التي اقترفها تراوده طوال الأشهر الأولى القليلة التي تلت وصوله إلى مركز التأهيل.

ولساعات طويلة، ظلّ يروي إلى فلورنس مكنونات صدره في جلسات الإرشاد النفسي التي عقدتها له. قال لها في إحدى الجلسات: كنت أرى الناس يموتون كل يوم، والموت يحكم قبضته حولي. أمرني المسؤول عني أن أدوس على مشاعري، وقال لي بأن الأمرّ سيان؛ قُتلتُ أم قَتَلتُ.؛ فتلك إرادة الله دائمًا. كلّا، ردت عليه فلورنس، إرادة الله تقضي أن عليك معرفة الحب، فالحب وحده هو الذي يهبك الحرية.

إيدان لاغوم لومورو؛ الغفران الصعب

ظلـت إيدان تعمل جاهدة من أجل وقف دورة العنف في أوغندا، جالت في القرى التي خطف الأطفال منها، أو التي عانت من الفظائع. حاولت أولا أن توائم بين الأحداث الجارية والقانون القبلي؛ فالثقافة القبلية ترى أنّ أيّ عملية قتل هي اعتداء على العائلة بعينها أو القبيلة بكاملها. وأن على القاتل دفع تعويض (ديّة) المقتول. وإذا لم يُدفع هذا التعويض، فإن الثأر من قبيلة القاتل هو البديل.

كانت إيدان تحاور زعماء القبائل، وتقول لهم إن من المستحيل حل المشاكل من خلال عملية التعويض أو الثأر. فالقتل لم يتوقف في أوغندا منذ عقود، ويمكن لكل قبيلة أن تجد مبررًا لطلب الثأر. ونصحتهم بدلا من ذلك باللجوء إلى الصلح القبلي المعروف باسم ماتا بوت Mataput؛ والذي يعني حرفيًّا «شرب عصير جذر مُرّ من كأس مشترك». وبناء على هذا التقليد، يلجأ زعماء القبائل إلى جمع الأطراف المتحاربة معًا لوضع تظلماتهم جانبًا، وتناول وجبة طعام جماعية، والشرب من الكأس المُرّة معا.

وقد حصلت إيدان على دعم من عدة زعماء قبليين يحكّمون لغة العقل، ومنهم كولينز أوبوكا، أحد زعماء قبيلة الأشولي، الذي قال: في ثقافتنا، لا نحب معاقبة الآخرين؛ فهذه طريقة عبثية لا طائل منها.

وللتدليل على تعقيد عملية المصالحة، تشير ايدان إلى تجربة ماري، المرأة الأوغندية التي جدع جيش الرب أنفها، وقطع شفتيها وأذنيها. وكان المتمردون يلجؤون إلى هذا الأسلوب المروع لإرهاب المدنيين، وتحذير الذين قد يزوّدون الجيش النظامي بمعلومات عن تحركات المتمردين.

كانت ماري تحرث أرض بستان مشترك مع خمس نساء أخريات، عندما هاجمت قريتهنّ مجموعة صغيرة من المتمردين. كانت ماري حاملا في شهرها الثامن.

جاء إلى البستان ضابط صغير ومعه ثلاثة أطفال مجندين. أمر النساء بالجلوس على الأرض، ثم رفع جهازا لا سلكيا نحو فمه، وأبلغ رئيسه بما وجده في القرية. أبلغه الرئيس أن يكلف أحد الأولاد بحراسة النساء، وأن يأخذ بقية الجنود للهجوم على القرية.

بعد انتهاء عملية النهب، عـاد الضابط مع مجموعته إلى البستان، وأعفى الولـد المكلـف بالحراسة من مهمته، وأخذ يستعد لمغـادرة القرية. عند وصول المتمردين طرف القرية، رأت ماري الضابط وهو يرفع جهاز اللاسلكي إلى أذنه. وفجأة، استدار الأولاد المُجندون عائدين إلى البستان، والشروع في تقطيع النساء بسواطيرهم. قتل الأولاد النساء الخمس، لكنهم لم يقتربوا من ماري التي كانت تتهاوى رعبًا، لأن الضباط أمرهم بالإبقاء على حياة المرأة الحامل.

قال لهم الضابط: سوف نستعملها كعلامة. ثم إن قتلها قد يسبب لنا النحس. مسكهـا اثنان من الأطفال المجندين، في حين تولـى ثالث مهمة تشويه وجهها. وعندما جاءت ماري إلى مركز منظمة وورلد فيجين بعد عدة أشهر لتلقي العلاج، أصابهـا خوف شديـد عندما وجدت نفسهـا وجهًا لوجه مع الضابـط الذي أمر بتشويهها. كان ذلك الضابط قد أصيب في معركة مع الجيش النظامي الذي ألقى القبض عليه. كان هو الآخر يتلقى مساعدة طبية في مركز المنظمة. يومها، طلبت ماري القصاص منه، واحتجت قائلة: يجب عدم تقديم المساعدة إلى هذا المجرم.

فـي دفاعه عن نفسه، قال الضابط السابق أنه كان ينفّذ أوامر قائده لقتل النساء، ولكنني أظهرت الرحمة بعدم قتل المرأة الحامل.

وقـد أكد شهادة هذا الضابط زوج إحدى النساء اللاتي قُتلن في البستان. كان هذا الزوج قد أُسر في الغارة، وسمع القائد وهو يأمر ذلك الضابط بإعدام النساء جميعهن.

ومهمـا يكن من أمر، لا يمكـن للإنسان أن يتصـور صعوبة عفو ماري عن الضابط السابق. ولكنها سامحته على أي حال، والتقطت صورة بهذه المناسبة، عُلقت على حائط مكتب المنظمة، تظهر فيها إيدان وماري والضابط وهم يمسكون بأيدي بعضهم بعضًا.

openkanal.com

ورغم مرور أعوام على ذلك الحادث، إلا أن ماري تعترف أنها لا تزال تكن الضغينة لذلك الضابط. إن شرب الكأس المرّ لن يكون حلو المذاق أبدًا. لكن ماري أسقطت حقها في المطالبة بالثأر، ما قد يؤشر على تحول كبير في ثقافة المصالحة القبلية التقليدية.

وهناك اقتناع عام، هو أنّ كل طفل اختطفه جيش الرب للمقاومة قد أُجبر على اقتراف بعض الفظائع. فعلى سبيل المثال، كان الطفل المجند الذي يبلغ من العمر 12 ربيعا، والذي شوّه وجه ماري، موجودا في المركز عندما جاءت إليه. لكنها لم تتعرف إليه، كما أنه لم يطلع أحدًا على دوره في الحادث إلا بعد جمع شمله بعائلته، حيث أسرّ إلى إيدان بفعلته.

كانت إيدان تطلب من كل طفل مجند يأتي إلى معسكرات منظمة وورلد فيجين؛ الضحية والجلاد، على حد سواء، أن يتسامى، وأن يغفر لأنه لا يوجد أمام الشعب الأوغندي أي بديل آخر للدخول إلى المستقبل. فبالوحدة فقط، يمكننا إعادة بناء بلدنا وتحقيق السلام والتنمية. وإذا لم نغفر، فإن مجتمعاتنا ستظل عرضة للانفجار.

مارغريت؛ عملية إنقاذ عسكرية

وأخيرًا، حملت مارغريت بعد خمس سنوات من الاغتصاب. كان عمرها 16 عامًا، كانت وحدتها قد عادت إلى جنوب السودان مؤخرًا عندما تأكدت من حَمْلها. وشعرت بالرضا لأنهم سوف يقيمون في معسكر واحد لبعض الوقت.

لكن هذه السعادة لم تدم طويلا، ففي صبيحة أحد الأيام، عندما كانت حبلى في شهرها السابع، عاد كشافة المتمردين مسرعين إلى المعسكر، وقالوا إنهم شاهدوا جنود الجيش النظامي يتقدمون بسرعة، وقد يصلون إلى المعسكر

في غضون نصف ساعة. أصدر قائد المعسكر أمرًا للاستعداد لانسحاب سريع. ولم يكد ينتهي من إصدار الأمر، حتى سمعت مارغريت انفجار أول قذيفة هاون، ثم تبعه انفجار آخر لا يبعد 20 مترًا عن المكان الذي كانت تقف فيه. ظهر مايكل فجأة، وصاح في نسائه أن يحملن أغراضهن ويهربن، ثم استدار بسرعة وتركهن لحالهن.

كان ضباط جيش الرب للمقاومة يتحدثون دائمًا عن الأشياء الرهيبة التي سيفعلها جنود الجيش النظامي في حال إلقاء القبض على المتمردين. ومما قالوه إن الجنـود المصابين بمرض الإيدز سوف يغتصبـون البنات، كما أنهم يشقون بطون البنـات الحوامل، ويخرجون أجِنَّتَهُنّ. كانـت مارغريت تفكر في كل هذا، وحاولت أن تركض بأقصى ما تستطيع، لكنها لم تبتعد كثيرًا بسبب حملها المتقدم.

سقطـت قذيفة هـاون وانفجرت أمامها مباشرة، وتوقفـت بعد أن أُصيبت بشظية في ركبتها، فسقطت فورًا على الأرض. حاولت النهوض، لكنها لم تستطع. فظلت ساكنة في مكانها على أمل أن لا ينتبه لها الجنود المهاجمون. ولكن لم تمر سـوى خمس دقائق حتى رآها أحد الجنود مصابة، فاعتقلها، ثم حملها جنديان على نقالة إلى موقع عسكري محصّن يبعد مسيرة نحو 20 دقيقة. وعند وصولها إلى الموقع، وجدت أمامها فتاة صغيرة من جيش الرب تصغرها بسنتين، تحتضن طفلا، وهي جالسة على الأرض.

كانـت في انتظار الأسيرتيـن مفاجأة سارة. فبعد أن هـدأ القتال، أحضر الجنود إليهم صحنًا مليئًا بطعام ساخن، وكمية كبيرة من الماء؛ وهي رفاهية لم يعرفنهـا منذ سنوات. بعد ذلك، جـاء أحد المسعفين، فأخرج الشظية من ركبة مارغريت، وسكب محلولا أحمر على الجرح.

أخـذ الجنود مارغريـت إلى حيث كان يجلس ثلاثة رجـال بثياب مرقطة. قال لها أحدهم: أنت أكبر من البنت الأخرى، وعليك إخبارنا بكل ما تعرفين.

وهذا ما فعلته مارغريت بالضبط؛ كشفت له كلّ ما تعرفه عن جيش الرب للمقاومـة، وأماكن تخزين السـلاح، وعدد الضباط فـي المعسكر الذي تعرض للهجـوم. كمـا أخبرتهم أيضًا بالمعلومـات القليلة التي تعرفهـا عن مكان وجود جوزيف كوني، فقد سبق لها وأن سمعت ضباط جيش الرب يقولون إنه نقل قيادته إلى الكونغو.

أبدى الضبـاط الثلاثة ارتياحًـا للمعلومات التي قدمتهـا، وطمأنوها على حياتهـا، ثـم نقلوها في اليـوم التالي إلـى حامية الجيش في مدينـة غولو. وبعد جلسـة تحقيق ثانية للتأكد من عـدم نسيانها أي معلومات استخباراتية، سلّموها إلى مركز منظمة وورلد فيجين.

عند البوابة الرئيسة، استقبلتها فلورنس واحتضنتها طويلا، ثم قالت: حرة أنت الآن. وسوف تستعيدين حياتك الطبيعية قريبًا.

وبعـد مضي شهر على وجودها في المركز، أنجبت مارغريت طفلا أسمته دانيـال تيمنًا بالنبـي دانيال أحد أنبيـاء بني إسرائيل، الـذي أنقذ- بقدرة الله تعالى- من أفواه الأسود في أيام نبوخذ نصر.

هؤلاء الأطفال بحاجة إلى مستقبل واعد

يتطلب إنهاء عبودية الأطفال المُجنّدين حول العالم من مناهضي العبودية اعتمـاد مبادرات استراتيجية من أجل تقديم الدّعْمَين؛ المادي والمعنوي للعبيد المحرريـن. كما أننـا بحاجة أيضًا إلـى أفراد ومنظمات تركز علـى التأثير في السياسات العامة.

وفـي هذا السياق، قامت منظمة وورلد فيجين في إبريل 2006 بدور رياديّ فـي إقناع أعضاء في مجلـس النواب الأمريكي لعقد جلسة استماع حول الأطفال المُجنّدين في أوغندا.

وقد أدلت المُختطفة السابقة غريس غرال ألكالو بشهادتها في تلك الجلسة. كانت غريس من بين البنات اللواتي اختطفن من كلية سانت ماري في بلدة أبوكي. ومما جاء في شهادتها: لسوء الحظ أن قصتي... أصبحت أمرًا شائعًا، لأن الخوف هو الذي يطبع حياة الأطفال الذين يعيشون في المناطق المتأثرة بالحروب (11).

وفي تعليقها على الشهـادة، سألتها النائبة دايان واتسون: هل تعتقدين أن الأطفال سوف يعودون طبيعيين مرة أخرى؟ لقد تعلمت كيفية استخدام البندقية للقتل. وأنا أتساءل كيف يمكننا معالجة ذلك؟

أبلغت غريس أولئـك النواب ما يطمح إليه أطفال شمال أوغندا بالضبط؛ الحـب، والأمن، والمستقبل الواعـد. إن تقديم الرعاية النفسية للطفل مدة ستة أشهر غير كاف. نريدكم أن تحشدوا المجتمع الدولي... من أجل حماية الأطفال وإنهاء النزاع.

وفي عام 2009، أصدر الكونجرس الأمريكي قانون نزع سلاح جيش الرب، وتطويـر شمال أوغندا. ودعـا القانون، الذي حظي بدعم عـدد كبير من ممثلي الشعب الأمريكي، إلى اعتماد استراتيجية إقليمية لدعم الجهود متعددة الأطراف الرامية إلى حماية المدنيين، ووقف تهديد جيش الرب لهم[12].

بناء مدرسة للجنود السابقين

مـع أن مغـادرة عشـرات الآلاف لمعسكـرات اللجوء الداخلـي تعدّ مدعاة للاحتفـال، إلا أن مركز مراقبة اللجوء الداخلي أشار في تقريره لعام 2007 إلى

أن كثيرًا من أولياء الأمور يتركون أبناءهم في المعسكرات؛ لأن المدارس معطلة في مناطق كثيرة في شمال أوغندا. ولذلك، فقد أطلقت حملة لبناء مدرسة ثانوية ذات مستوى رفيع في مدينة غولو، تضم 8 غرف صفية للأطفال الذين يعانون من صدمة الحرب.

كما يجري ضمن هذه الحملة تنظيم مهرجانات واحتفالات فنية وموسيقية لتشجيع المصالحة بين الأطفال الجنود العائدين من جهة ومجتمعاتهم من جهة أخرى. وقد سبق أن طبقت مبادرة المصالحة هذه في رواندا بين القبائل التي مارست عمليات قتل بشعة ضد بعضها بعضًا.

obeikandl.com